سلسلة

من علماء الإسلام

٦

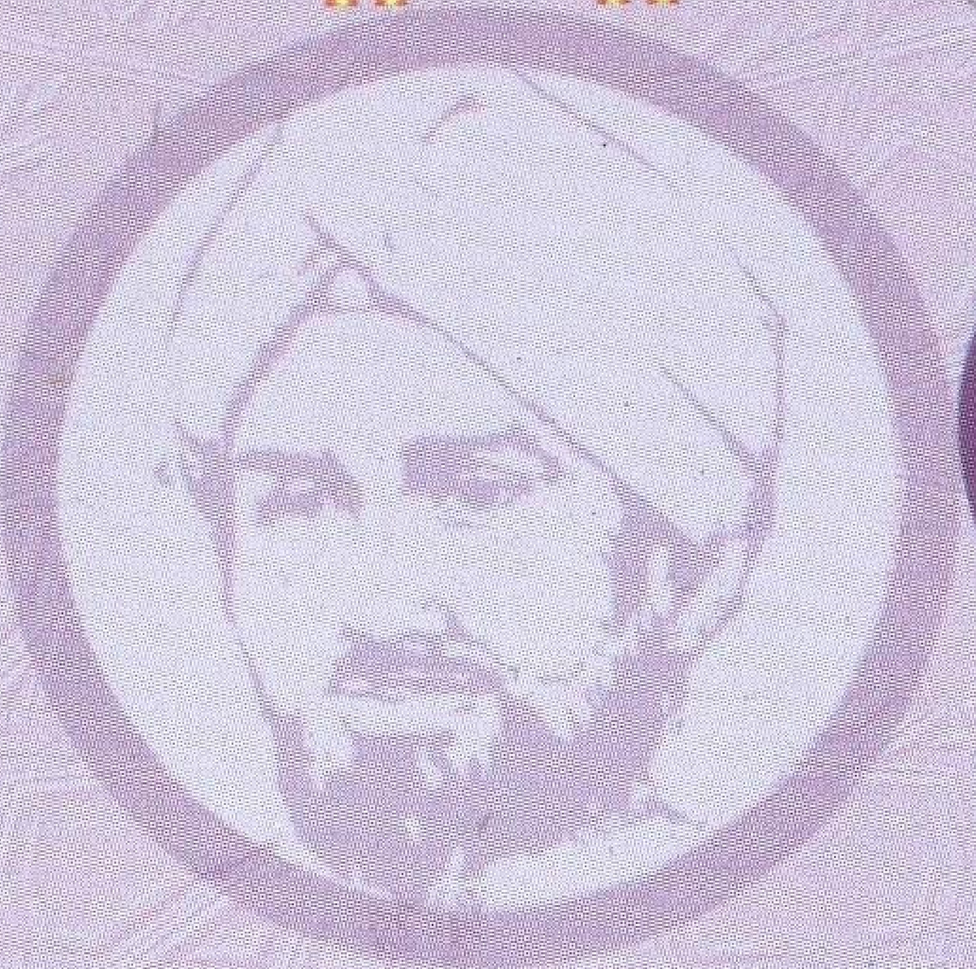

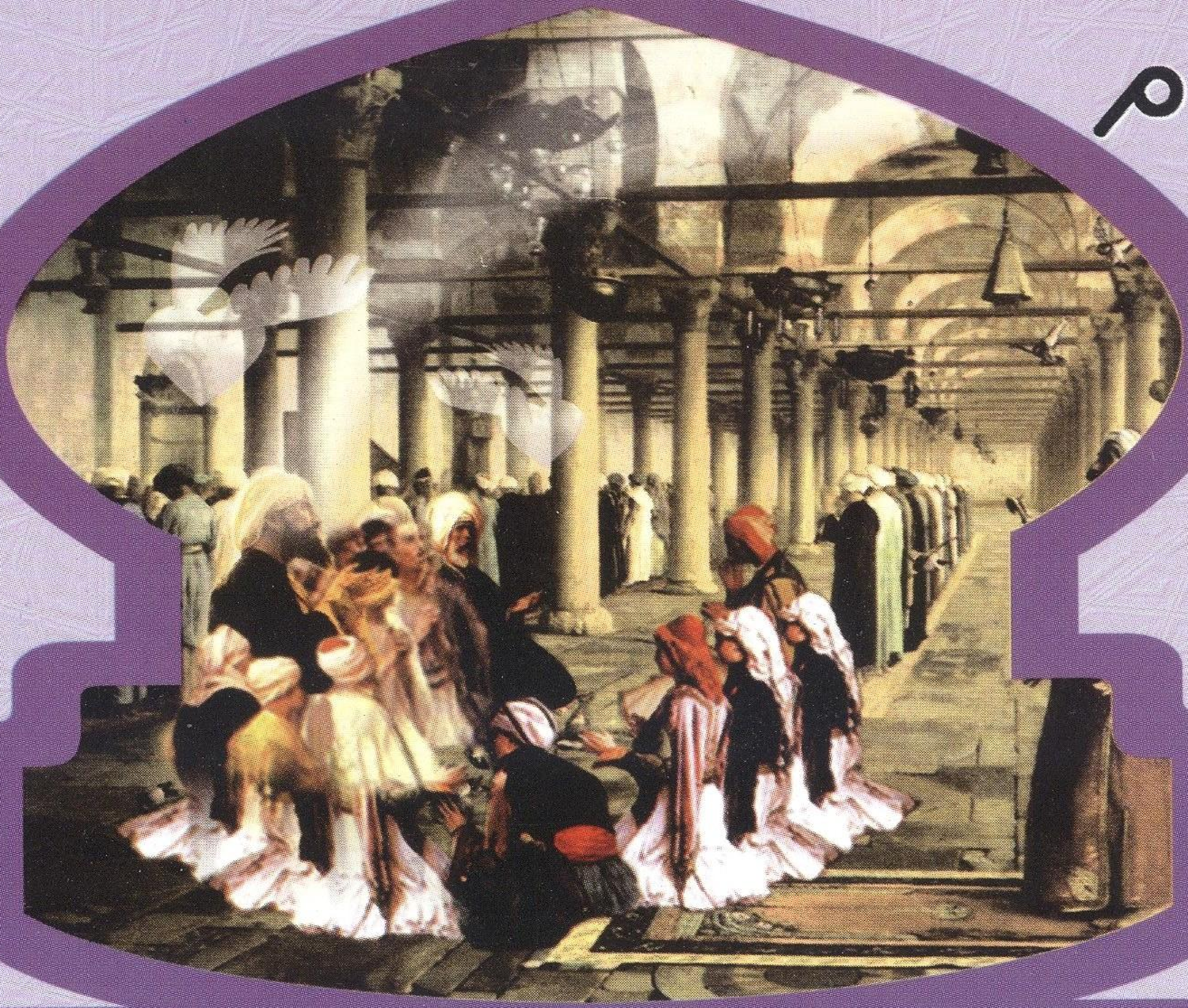

الإمام محمد بن جرير الطبري

(شيخ المفسرين)

تأليف

إيهاب سعيد النجمي

أحمد سعيد النجمي

إيتراك للطباعة والنشر والتوزيع

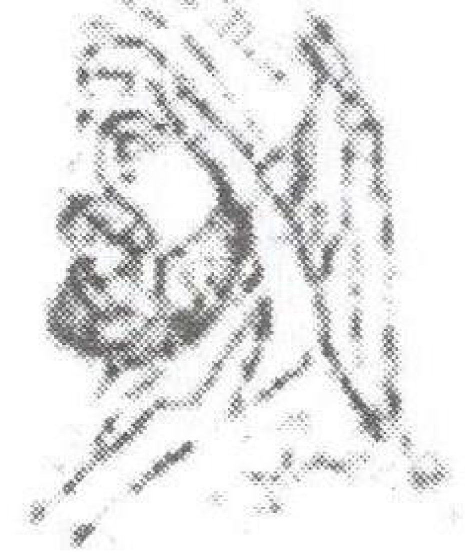

سلسلة من علماء الإسلام

٦

الإمام
محمد بن جرير الطبري

(شيخ المفسرين)

تأليف

إيهاب سعيد النجمي

أحمد سعيد النجمي

يتميز إقليم " طبرستان " أحد أقاليم بلاد فارس بالطبيعة الجميلة حيث المياه الكثيرة والأنهار الجارية ، والأشجار الكثيفة المتهدلة والفاكهة العديدة المتنوعة ، والطيور المختلفة في أشكالها وأحجامها ، وأصواتها ، وألوانها .

لم يدخل الإسلام هذا الإقليم إلا في عهد سيدنا " عثمان بن عفان " ثالث الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم أجمعين ، ولكن الفاتحين له لم يتمكنوا منه إلا بعد فترة طويلة من الزمن .

وكانت عاصمة هذا الإقليم و هى مدينة " آمل " مشتهرة بكثرة العلماء فيها ، ولم يكن علماء هذه المدينة وهذا الإقليم متخصصين في علم واحد ، وإنما كانوا في شتى المعارف والعلوم الإسلامية ، فمنهم من كان عالمًا بتفسير القرآن وقراءاته،

ومنهم من كان عالما بالحديث النبوي الشريف ، ومنهم ، ومنهم من كان عالمًا بالفقه الإسلامي ، ومنهم من كان عالمًا باللغة العربية وآدابها ، ومنهم من كان عالمًا بالجغرافيا والتاريخ .

في هذه البيئة الجميلة بطبيعتها ، الثرية بأهلها وعلمائها ، كان يعيش (جرير بن يزيد) الذي عرف بالورع والزهد وحبه للإسلام ورغبته الشديدة في نفع الإسلام والمسلمين ، وفي آخر سنة ٢٢٤هـ ولد لجرير هذا " ولدٌ " سماه " محمدًا " وفرح " جرير " بهذا الولد كثيرًا وأصبح يؤمل فيه خيرًا كثيرًا ، ونفعًا عظيمًا ؟

وما إنْ بلغ الصبي " محمد " السن التي تؤهله إلى التعلم والفهم الواعي والإدراك الناضج ، ما إنْ بلغ هذه السن حتى عهد به والده " جرير " إلى علماء بلدة " آمل " ليحفِّظوه القرآن ويعلموه قراءته ، ويُوقفُوه على المعارف الإسلامية .

ولم تكن رغبة الوالد في تعليم ابنه بعيدة التحقق ، ولم تكن مهمة المعلمين له صعبة ، إذ سَهُلَ ذلك كلُّه بنبوغ الصبي وذكائه ، وتوقد ذهنه وصفاء قريحته التى أدهشت المحيطين به ، وحازت إعجابهم ، وجعلت للصبي بين أهل مدينته مكانة عالية ، مرموقة ، وهو مازال حَدَثًا [1] غضّ [2] الإهاب [3] .

فقد أتم " محمد بن جرير " حفظ القرآن كله وهو في سن السابعة ولم يكن حفظًا متعتعًا وإنما كان حفظًا متمكنًا قويًا مما أَهّلَهُ لأنْ يَؤُمَّ الناس في الصلاة

---

(١) حدثا : صغير السن . (٢) غض : طري .

(٣) الإهاب : الجلَد .

وهو مازال في الثامنة من عمره ، وفي هذه الأثناء كان أبوه رأى رؤيا في نومه ، رأى أن ابنه محمدًا يقف بين يَدَيْ النبي ﷺ ومعه مخلاة مملوءة بالحجارة ، فيأخذ منهــا ويرمي بين يَدَيْ النبي ﷺ ، فذهب (جرير) إلى أحد العلماء ، وقص عليه الرؤيا ففسرها بأن ابنه (محمدًا) إذا كبر نصح في دين الله وذَبَّ[1] عن شريعته فتفاءل . (جرير) أيما تفاؤل بهذه الرؤيا وذلك التفسير مما حفزه على تعليم ابنه أكثر .

وكان من حسن رأيه ورجاحة تفكيره أن قص الرؤيا على ولده ، وأخبره بتأويلها وتفسيرها ، مما وَلَّد في نفس الابن رغبة قوية لتحقيقها ونقلها من عالم الأحلام والرؤى إلى عالم الحقائق والواقع .

---

(١) ذب : دافع

فأكب (محمد بن جرير) الولد الصغير الذي لم يتجاوز التاسعة من عمره على دراسة حديث النبي ﷺ وحفظه بعدما أتقن القرآن كما علمنا من قبل ..

فلم يمر عليه غير قليل من الوقت حتى كان حافظاً للكثير من أحاديث النبي ﷺ ، ولم يكتفِ هذا الطالب النهم الذي لا يشبع من العلم بما حصله في بلده " آمل " وإنما تنقل بين إقليم طبرستان يبحث عن الجديد الذي لم يجده في مسقط رأسه ، وظل هكذا يتنقل من مدينة إلى مدينة ومن مجلس علم إلى آخر حتى حَصَّل كل ما في بلاد فارس من علوم ، وتتلمذ على جُلِّ[1] علمائها ، ولم يقنع بما حَصَّل على الرغم من كثرته ،

بل ازداد تعطشه للعلم وشغفه به مما دفعه إلى

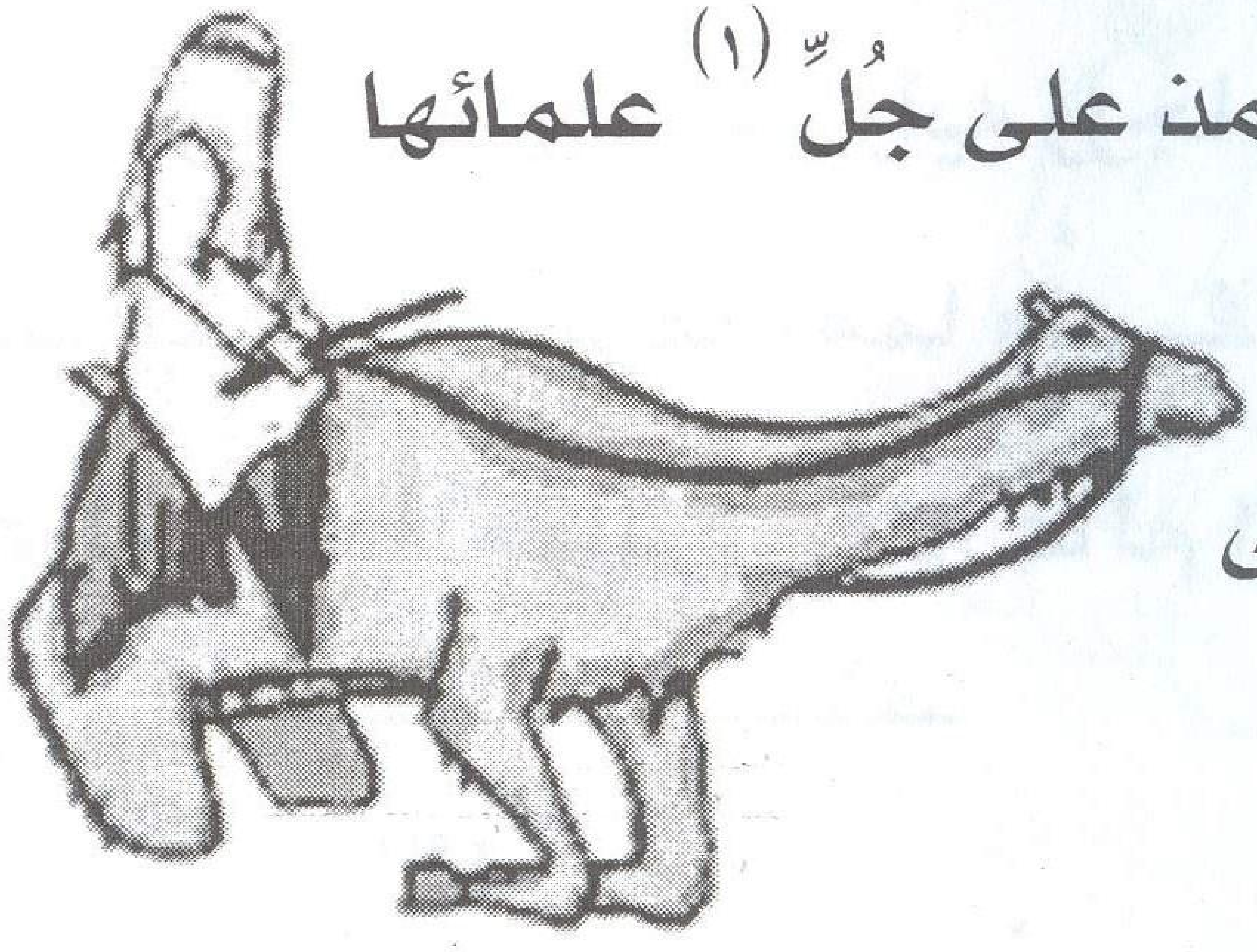

---

(١) جل : عظيم

أن يرحل إلى العراق لينزل البصرة والكوفة وأواسط بغداد ، فيحصِّل ما فيها من علوم ، وينتقل إلى الشام ليتتلمذ على علمائها ومشايخها ، وهو في كل هذه الرحلات العلمية لم يتجاوز سن الشباب.

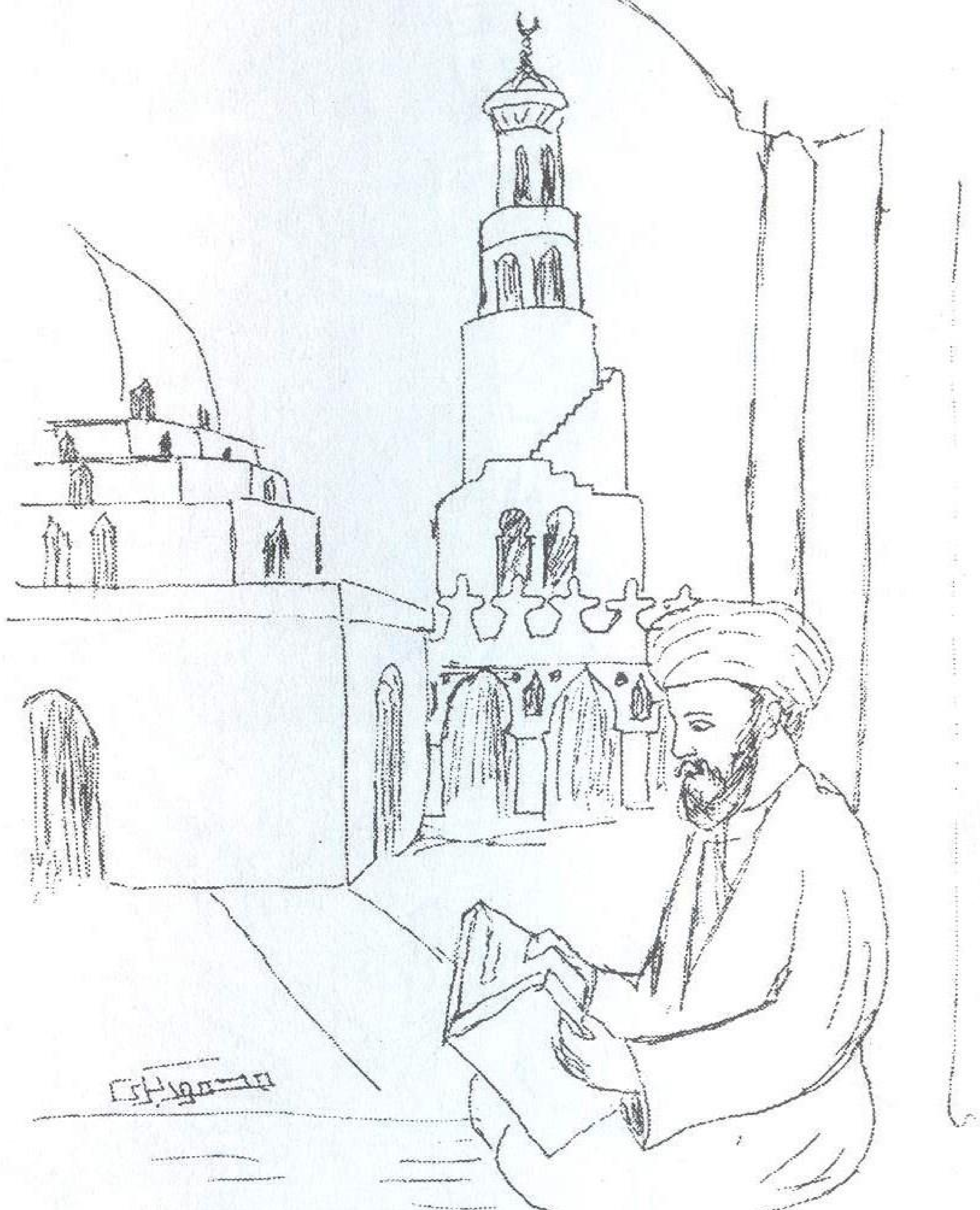

وبعد أن قضى في الشام مدة من الزمن هفت[1] نفسه إلى مصر لما سمع عن علمائها ومشايخها الذين رغب (محمد بن جرير) في لقائهم والتعلم منهم والتتلمذ على أيديهم . فدخل مصر سنة ٢٥٣هـ في عهد أحمد بن طولون وأقام بها فترة وجيزة ثم رحل إلى الشام ثم

(١) هفت : اشتاقت

عاد إلى مصر ثانية بعد ثلاث سنوات أي عام ٢٥٦هـ .

وما إن أقام بمصر مدة وجيزة حتى ذاع[١] صيته ، وطبقت شهرته الآفاق ، وبعد مدة من الزمن عاد إلى بغداد ومنها إلى طبرستان مسقط رأسه ثم رجع إلى بغداد .

هكذا عُرِفَ (محمد بن جرير) - وسمي الطبري نسبة إلى إقليم طبرستان الذي ولد فيه كما سَلَفَ - بحرصه على العلم وعزمه في تحصيله فهو لم يرتحل كل هذه الرحلات ولم يسافر كل تلك الأسفار إلا من

---

(١) ذاع : انتشر

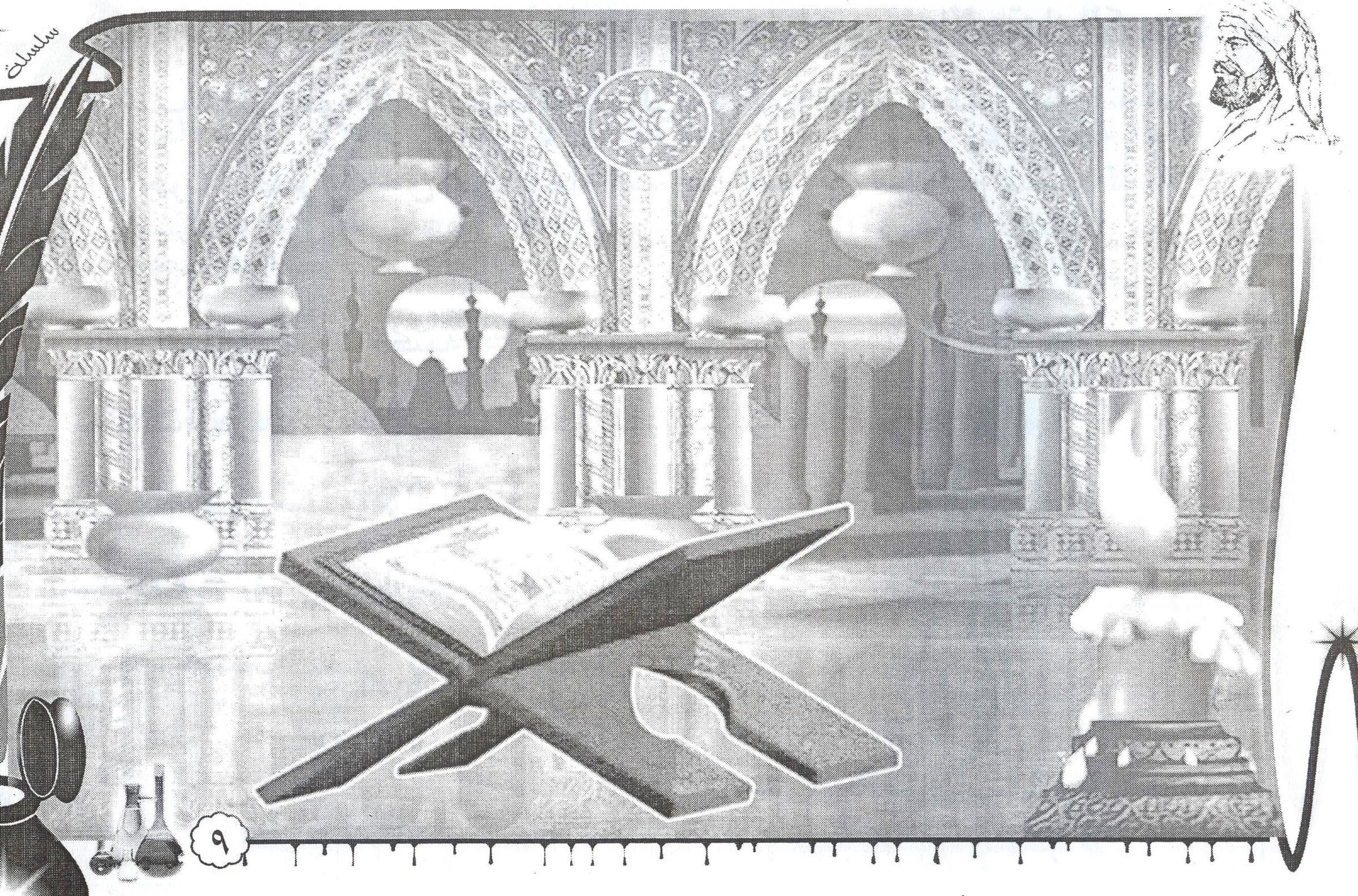

أجل تحصيل العلم ، ومن أجل هذا الحرص الشديد والاجتهاد الكبير في طلب العلم وَفّقَهُ الله - سبحانه وتعالى - وعَلّمهُ الكثيرَ ، حتى صار (محمد ابن جرير الطبري) من أهم علماء عصره وزمنه ، بل من أهم علماء الإسلام حتى يومنا هذا .

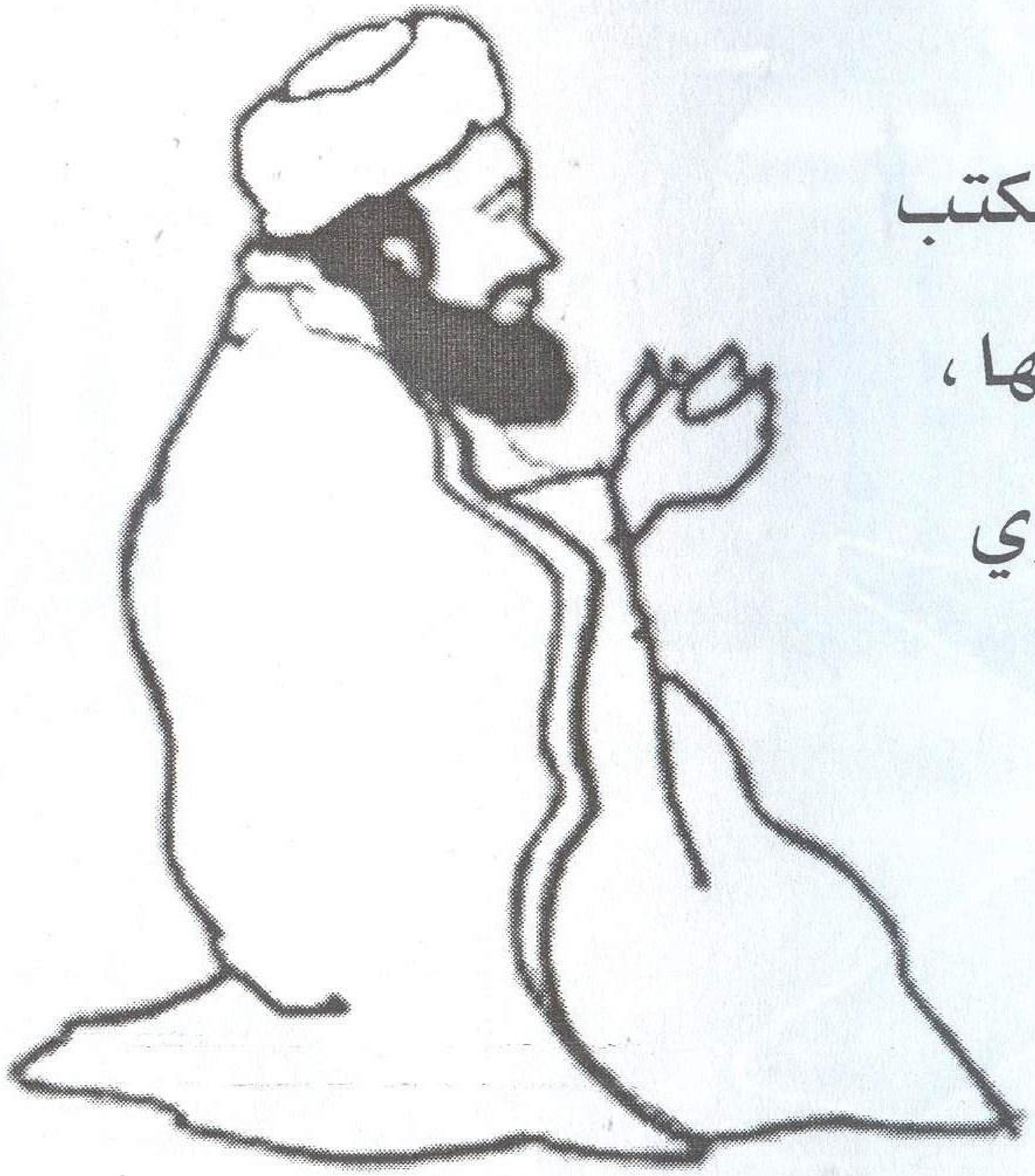

وكذلك صارت كتبه ومؤلفاته من أهم الكتب والمؤلفات العربية الإسلامية في مجالاتها ومعارفها ، ومن أهم هذه الكتب والمؤلفات التى خلفها الطبري لنا كتاب (**جامع البيان عن تأويل آي القرآن**) وهو كتاب تفسير ، فَسَّرَ فيه القرآن الكريم

وكذلك كتاب (**تاريخ الأمم والملوك**) يعرض فيه تاريخ الأرض من بداية خلقها إلى عصر الطبري وهو مشهور بـ (**تاريخ الطبري**) ، وله العديد من الكتب والمؤلفات الأخرى التى تدل على غزارة علمه ومدى حرصه واجتهاده في تحصيل العلوم .

وليس العلم وحده هو الذي ميز شيخنا (محمد بن جرير الطبري) وإنما تَحَلَّى بصفات كثيرة أخرى .

فاتصف بالورع ... والورع هو التقوى والصلاح ، فكان يحافظ على قراءة القرآن ولا ينقطع عنها وكان يستخير اللّه قبل أن يفعل أي شيء وكان زاهدًا في الدنيا لا تشغله زينتها ولا زخرفها .

عُرف كذلك بالتواضع ، فعلى الرغم من سعة علمه وغزارته كان متواضعًا لا يتكبر ولا يتعالى مثلما كان يفعل من نالَ حظاً من العلم يقرب من حظه ، فكان دَمِثَ[١] الخلق رقيق المعاملة يخفض جناحه لكل من حوله ، فكان يحنو[٢] على تلاميذه وأحيانا يخرج معهم في رحلات ترفيهية لهم ، وكان لا يتباهى بعلمه على أحد ، ولا يفخر بمكانته على من هو دونه[٣] .

ومن أمارات تواضعه أنه كان إذا دخل في نقاش علمي مع أحد العلماء وانتصر عليه لم يذكر ذلك الانتصار بعد ذلك طيلة حياته ، حتى وإن سأله أحد عن ذلك سكت ولم يرد عليه .

---

(١) دمث الخلق : حسن الخلق .　(٢) يحنو : يعطف .　(٣) دونه : أقل منه .

ومما عرف به ابن جرير الطبري أيضًا الإباء وعزة النفس ، وعرف بذلك منذ صغره ، فلم يكن يقبل عطايا ولا هدايا من أحد ، وكان يفضل أن يموت جوعًا بدلاً من أن يقترض مالاً من أحد أو يسأل أحدًا طعاما . وحدث ذات يوم أن رحل من بلدة " آمل " لطلب العلم كما عرفنا عنه وكان أبوه يرسل له مالاً كل فترة لينفق على نفسه منه ، وفي مرة من المرات تأخر المال عليه ، وكان يحتاج إليه بشدة فقطع كُمَّيْ ثوبه وباعهما في السوق وأخذ ثمنهما وكان يمكنه أن يقترض من أي إنسان يعرفه ثم يرد القرض

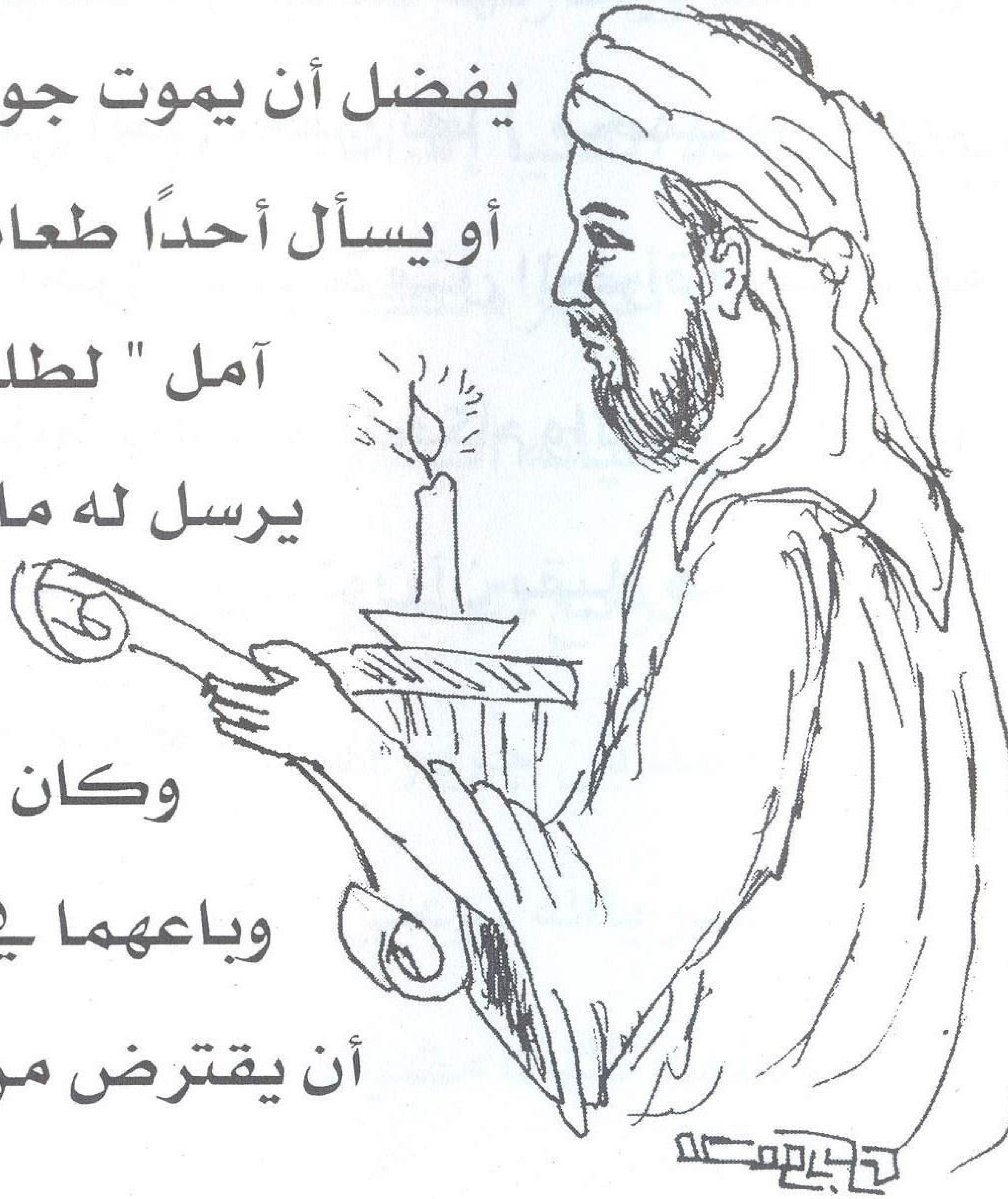

عندما يصل ماله ، لكنه فضل بيع ثوبه على أن يُذل نفسه بالاقتراض لم تكن هذه الصفات .. الحرص على العلم والعزيمة في طلبه ، الورع ، التواضع ، والإباء ، وعزة النفس ، هي التى تحلى بها (محمد بن جرير الطبري) فقط ... وإنما تحلى بصفات أخرى عديدة مثل الجرأة والشجاعة في الحق ، والتفاؤل ، والزهد فيما عند الناس وخاصة الحكام والوزراء على الرغم من أنهم هم الذين يعرضون عليه صِلاتِهِم (١) ويتمنون أن يقبل هداياهم وعطاياهم منهم ، لكنه كان يأبى ذلك ويرفضه.

(١) صلاتهم : عطاياهم وهداياهم

وهكذا أمضى " محمد بن جرير الطبري " حياته خالية من الأطماع في الدنيا وزخارفها صافية لتحصيل العلم ، لا يرى لنفسه مهمة ولا وظيفة في هذه الدنيا إلا الاشتغال به وتدوينه وتدريسه وتعليمه ، يرحل من أجله إنْ تطلب الأمر ذلك .

وفي أواخر حياته استقر ببغداد وأقام بها ، منقطعًا للتدريس والتأليف . إلى أن جاء القرن الرابع الهجري وبالتحديد سنة ٣١٠هـ ليلقى العالم الكبير والشيخ الجليل (محمد بن جرير الطبري) ربه ، ويدفن في بغداد في عصر الخليفة العباسي المقتدر بالله ، وعلى الرغم من أن جسده دفن في التراب إلا أن كتبه ومؤلفاتِه وعلمه ظلت مشرقة في سماء الدنيا كلها إلى يومنا هذا .

فاللهم ارحم شيخنا

" محمد بن جرير الطبري "

صاحب

((جامع البيان عن تأويل آي القرآن))
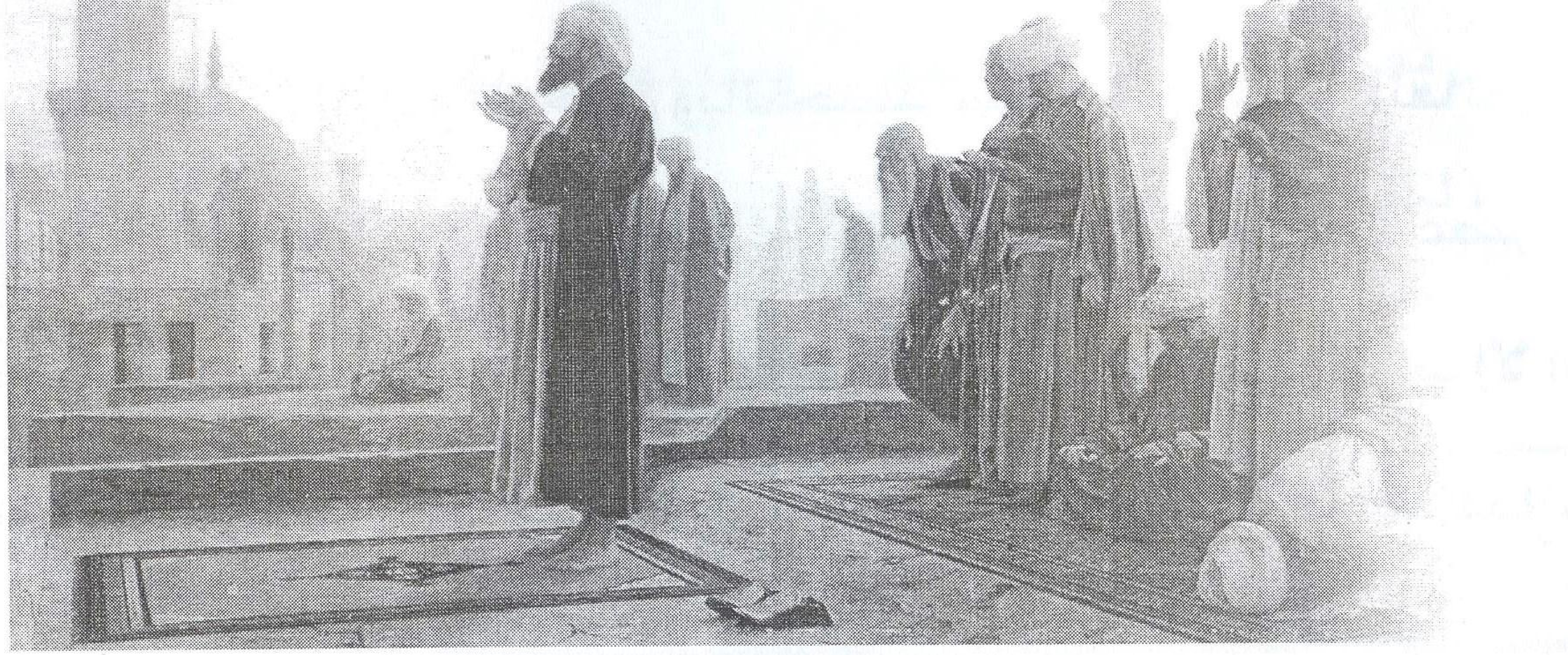
اللهم آمين .